مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (4) العدد (5) 2020
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (4) No. (5) 2018

النسق الثقافيّ الأنثويّ
في مجموعة "تاريخ يتمزّق في جسد امرأة" لأدونيس.

لطفيّة إبراهيم برهم*
محمد حسن مصطفى**

(تاريخ الإيداع 12 /1 /2020 . قُبِل للنشر في 23 /7 /2020)

□ ملخّص □

يعدّ النسق المُضمَر واحداً من مفهومات النقد الثقافيّ ،وهو نسقٌ مركزيٌّ، يُمارس دور المُتخفّي و المتحكّم بجماليّة الخطاب البلاغيّ. ولعلّ النسق الأنثويّ من أكثر الأنساق حساسيّة في التناول المعرفيّ؛ بسبب طبيعة الثقافة التي تُمجّد الذكورة.

يهدف البحث إلى إظهار دور النسق الثقافيّ الأنثويّ في متنٍ يتحدّث عن الأنوثة بلسان مُذكَّر، ومحاولة تقديم قراءة في نصوص المدونتين ،تُعالج مستويات ظهور النسق من نواحٍ مُختلفة من مثل: العلاقة بين الأنوثة والمُقدّس ،وأثر النسق الأنثويّ في سرد المُذكّر.

يخلص البحث إلى أنّ الجسد يمتلك سياسة قوامها فكّ مغاليق شيفرات النسق الكليّ الذكوريّ، من دون ابتداع واقع آخر يقايض الصورة النمطيّة للأنوثة ،وإلى إثبات قدرة النسق الأنثويّ في تقديم الأنوثة مفهوماً مُنفلتاً من عبء الثقافة التي لا تقدّر الأنوثة،بل تحشرها في خندق التابعيّة والمتبوعيّة جسمانيّاً ومعرفيّاً. وبذلك اتّضح أنّ امتزاج الأنوثة بالألوهة ليس فعلاً ثقافيّاً طارئاً ،بل هو فطرة تنكرها الثقافة التي سيّستها الأعراف.

كلمات مفتاحيّة :النسق، الأنثوي ،الثقافي، الثقافة ،أدونيس، جسد.

* أستاذ . قسم اللغة العربية. كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة . جامعة تشرين . اللاذقية . سورية.
**طالب دكتوراه (الدراسات الأدبيّة). قسم اللغة العربيّة. كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة . جامعة تشرين . اللاذقية . سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (4) العدد (5) 2020
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (4) No. (5) 2018

The cultural feminine pattern in "History is ripped apart in the body of women" by "Adonis".

Ltfieh Ibraheem Borhom*
Mohmmed Hassan Mostaf**

(Received 12/ 1/2020 . Accepted 23/7/2020)

□ ABSTRACT □

The implied pattern is one concept of the cultural criticism , central and plays the controlled role in the rhetorical discourse. Cognitively ,it is the most controversial because of the nature of the masculine-celebrated culture.

The research aimed at revealing the role of the cultural pattern in a book talking on behalf of masculinity about the femininity and trying to re-interpreting the concept in multi levels such as: the relation between the divine and femininity and the influence of it on masculinity.

To conclude, the body possess a policy of decoding the dominant masculine pattern without coining another state exchanging the typical image of femininity and delivering it as a concept overriding the culture-burden which condemning and categorizing the femininity in the corner of superiority and inferiority physically and epistemic. Thus, to be clarified, the intermixing of femininity and goddess is not an extraordinary cultural act ,but it is the disguised innate which the has been politicized.

Key words: pattern, femininity, the culture, masculine , Adonis,body.

*Professor - Arabic Department-Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Lattakia-Syria.

**P.H.D Student(Literary Studies)- Arabic Department-Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Lattakia-Syria.

مقدّمة

يعدّ النسق المُضمَر واحداً من مفهومات النقد الثقافيّ،وهو نسقٌ مركزيّ، يُمارس دور المُتخفّي والمتحكّم بجماليّة الخطاب البلاغيّ،وتتعدّد أنواعه بين سياسيّة ، وتاريخيّة، وثقافيّة. وهي أنواع قد يُعدّ النسق الأنثويّ من أكثرها حساسيّة في التناول المعرفيّ؛ بسبب طبيعة الثقافة التي تُمجّد الذكورة،وتقاطع الغوص فيه تتطلّب القدرة النقديّة على امتصاص الهيمنة في التعاطي معها ، ورفضها أو قبولها في أثناء تناول الموقع الفكريّ والمعرفيّ للأنوثة ؛هذا ما يجعل القارئ في حركة كرّ وفر بين الأنوثة والذكورة، والتماوج بينهما وما تدّعيه الثقافة، ويرمي إليه الإبداع الفنيّ والفكريّ.

أهميّة البحث وأهدافه:

تنبع أهميّة البحث من أنّه يشتغل على مدوّنة مُعاصرة لأدونيس من منظورات مابعد حداثيّة تُمثّلها أطروحات النقد الثقافيّ التي يُعَدُّ النسق أحد أهمّ أدواتها. يهدف البحث إلى إظهار دور النسق الثقافيّ الأنثويّ في متن يتحدّث عن الأنوثة بلسان مُذكَّر،ومحاولة تقديم قراءة في نصوص من المدونتين تُعالج مستويات ظهور النسق من نواحٍ مُختلفة، من مثل: العلاقة بين الأنوثة والمُقدّس، وأثر النسق الأنثويّ في سرد ما هو مذكّر ثقافيّاً.

منهجيّة البحث:

يعتمد البحث على المنهج البنيويّ، ويفيد من النقد الثقافيّ، بوصفه مُقاربة متداخلة الأفرع المعرفيّة، تعنى بما هو متخفٍ خلف البُنى اللفظيّة من أنساق اجتماعيّة وسياسيّة تشكّل المخزون الفكريّ للذاكرة الجمعيّة.

مفهومات نظريّة.

1-النقد الثقافيّ .

لم يتطوّر النقد الثقافيّ ،بوصفه منهجاً، بل استراتيجيّةً ((في البحث ، وإنمّا ظلّ نشاطاً عائماً تدخل تحت مظلّته ألوان مُختلفة من المُلاحظات والأفكار والنظريّات))[1]،فهو فرع معرفيّ يسعى إلى توسيع الأفق الفكريّ والمعرفيّ للقراءة الخاصّة بالثقافة؛ الأمر الذي تعريفاته متعدّدة، ولكن يمكن حصرها في التعريف الآتي ،تجنّباً لتفصيلات تحتاج إلى مساحات شاسعة من البحث الدقيق ؛لذلك سنكتفي بتعريف شامل للنّقد الثقافيّ يرى فيه مقاربةً نقديّة((لا تدور حول الفنّ والأدب فحسب ،وإنّما حول الثقافة ،في نظم الأشياء بين الجوانب الجماليّة والأنثروبولوجيّة ،بوصفه دوراً يتنامى في أهميّته ،ليس لما يُكشَف عنه في الجوانب السياسيّة والاجتماعيّة فقط ،بل لأنّه يُشكّل كذلك النظم، والأنساق ،والقيم، والرموز ،ويصوغ وعينا بها))[2] ،إذاً، يهتمّ النقد الثقافيّ بأنظمة الخطاب المُضمرة التي تمثّل لاوعي الخطاب الظاهر.

[1]الرويلي ، ميجان-البازغي، سعد: دليل الناقد الأدبي ،ط:4، 2005،ص306.

[2]بلعي، بلعاد: مدخل في نظريّة الأدب المقارن،الجزائر، منشورات الاختلاف- ط1: 2007 ، ص219.

2.**موقع النقد النسويّ في النقد الثقافيّ.**

نستطيع القول: إنّ النقد الثقافي حقّق هدفاً كبيراً بتوسّعة في الموروث الأدبي حتّى يستوعب النتاج الأنثوي الذي طال إهمال الرجل له ،ويتجلّى هذا الإنجاز بالربط الطبيعي بين النقدين النسوي والثقافي في تاريخيهما؛ إذ تشكلت النسويّة في مركز النقاشات ما بعد حداثية مثلما تأسس النقد الثقافيّ.

ويمكن أن نعرّف النسويّة بأنّها أيديولوجية ذات طبيعة أنثويّة أو ماهيّة أنثويّة يصوغها النسويون أنفسهم في جهد لإعادة الشرعية للسمات الأنثوية التي تمّ الحطّ من قيمتها. يوضّح "تيري إيجلتون" أنّ((ثمّة أنساقاً أيديولوجيّة معيّنة تتوارى في بنية النصّ الأدبيّ، بحيث تقدّم هذه الأنساق نفسها بوساطة أشكال متنوّعة ،وذلك من خلال اللغة العادية المألوفة والرمز والاصطلاح المتعارف عليهما، وعبر شيفرة الإدراك الحسي وعبر نتاجات صنعية أخرى))[1]. إذا فهمنا هذه الإشارة علمنا أنّ النسويّة كانت بحاجة إلى النّقد الثقافيّ لاستخراج أنساقها الأيديولوجيّة المُضمرة في النصوص الأدبيّة المصنوعة على وفق أهواء السلطة؛وبذلك فإنّ فكرة الصراع النسقيّ التي تفترضها النسويّة لا يمكن أن تبرز إلا بآليّات النقد الثقافيّ.وعندما يقول"غرينبلات":إنّ التحليل الثقافيّ الكامل يجب أن ((يذهب إلى ماهو أبعد من النص ليحدد الروابط بين النص والقيم من جهة،والمؤسسات والممارسات الأخرى في الثقافة من جهة أخرى))[2].عند ذلك نفهم أنّ التحليل الثقافي يحتاج إلى الأيديولوجية النسويّة؛لأنّها تقدّم له الأنساق المضادّة والمضمرة،ولأنّها بتعاملها مع سلطة الذكور ستكون أنموذجاً غنيّاً بالحيل الثقافية التي تخترق المنظومات المألوفة أو السائدة،والتي تتمثل بمنظومات الذكور بحكم التراكم الثقافيّ.فمن جهة تحتاج النسويّة النسقيّة إلى النّقد الثقافيّ؛ليستخرجها من جهة، ومن جهة أخرى يحتاج إلى النسويّة لتكون مادّته وموضوعه وتقدّم له غنى نسقيّاً لا يُقارن بغيره من جهة الغزارة والكثافة؛ إذ تعتاش الدراسات الثقافية على حالات التصادم بين:((المركزيّ والهامشيّ، الأنا والآخر،والذكوريّ والأنثويّ))[3]،بوصفها ثنائيّات متعارضة، ومتصارعة تشيّد المنظومة الحياتيّة للمجتمعات الإنسانيّة.

3.**الوظيفة النسقيّة:**إذا كان "**رومان جاكبسون**" قد حدّد للرسالة ست وظائف على وفق الخطاطة الآتية:

مرجعيّة

انفعاليّة شعريّة إفهاميّة

انتباهيّة

ميتالسانيّة[4].

وقد حان الوقت لإضافة الوظيفة النسقيّة، وهذا يعني أنّ النقد الثقافيّ يهتمّ بالمُضمر في النصوص والخطابات،ويستقصي اللاوعي النصيّ[5]،وينتقل دلاليّاً من الدلالات الحرفيّة والتضمينيّة إلى الدلالات النسقيّة.

---

[1]عليمات، د.يوسف: النسق الثقافي– قراءة في أنساق الشعر العربي القديم، دار الكتب الحديثة، 2009، ص167.

[2]عليمات، د.يوسف: النسق الثقافي– قراءة في أنساق الشعر العربي القديم ،ص7.

[3]المرجع السابق، ص12.

[4]يُنظر: جاكبسون ، رومان: قضايا الشعريّة،تر: محمد العربي، د. مبارك الحنون ،دار توبقال للنشر – الدار البيضاء – المغرب –د.ط، 1998 – ص28.

[5]يُنظر: السماهيجي ، حسين، وآخرون: عبدالله الغذامي والممارسة النقديّة، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنشر – بيروت ، البحرين، ط4: 2003،ص 45.

4.**الدلالــة النسقية:** يستند النقد الثقافيّ إلى ثلاث دلالات: الدلالة المباشرة الحرفيّة، والدلالة الإيحائيّة المجازيّة الرمزيّة، والدلالة النسقيّة الثقافيّة؛ وإذا قبلنا بإضافة عنصر سابع إلى عناصر الرسالة الستّة التي حددها " رومان جاكبسون" ب:

مُرسِل	سياق	مُرسِل إليه
	اتصال	
	سنن[1].	

و إذا سمينا العنصر المُضاف العنصر النسقيّ، فسيصبح المولّد للدلالة النسقيّة، وحاجتنا إلى الدلالة النسقيّة هي الجوهر؛إذ إن ما نعهده من دلالات لغويّة لم تعد كافية لكشف كلّ ما تخبّئه اللّغة من مخزون دلاليّ، ولدينا الدلالة الصريحة التي هي الدلالة المعهودة في التداول اللغويّ، وفي الأدب وصلَ النقد إلى مفهوم الدلالة الضمنيّة، فيما نحن هنا نقول بنوع مختلف من الدلالة هي الدلالة النسقيّة، وستكون نوعاً ثالثاً يضاف إلى تلك الدلالات. وبناءً عليه ، فإنّ الدلالة النسقيّة بحاجة إلى جملة ثقافيّة،،وهي على ضربين : نحويّة حاملة للدلالة الصريحة، وأدبيّة حاملة للدلالة الضمنيّة ، قوامها التشكيل الثقافيّ المُنتِج للصيغ التعبيريّة المختلفة[2].

5.الذكوريّ (masculine): تعدّ الذكورة((مقولة هوياتيّة تُشير إلى الخصائص الثقافيّة المُرتبطة بوجود الرجل ، بمعنى أنّها عبارة عن بناء خطابيّ–أدائي– يصف وينظّم المعنى الثقافيّ لوجود الرجل ، والذكورة ليست صفة جوهريّة لذوات مجسَّمة، بل هي قضيّة تتعلّق بالتمثيل ؛ أي إنّها مُشكّلة من طرائق الحديث عن الأجساد المؤدّبة والمحسّنة، على هذا النحو، تُعدّ الذكورة موقعا للنضال السياسيّ المُتواصل حول المعنى في سياق الصيغ المتنوّعة لوجود الرجل))[3].

6.الأنثويّ(femininty): إنّ كلمة الأنثويّة مأخوذة من كلمة الأنثويّ التي تقترن دلالياً بالأنوثة" **feminine**" ، بوصفها((مقولة هوياتيّة تُشير إلى الخصائص الاجتماعيّة والثقافيّة المرتبطة بوجود الأنثى.إنّها بناء أدائي خطابي يصف ويضبط المعنى الثقافيّ لوجود المرأة.على هذا النحو، تفهم الأنوثة بوصفها سلوكاً مُنظماً ثقافيّاً، ومُلائماً اجتماعيّاً للمرأة.لاتعدّ الدراسات الثقافيّة الأنوثة صفة جوهريّة لذوات مجسّدة ، بل تعدّها تمثيلاً به تكون الهويّة الجنسيّة مشكّلة بوساطة طرائق الحديث حول الأجساد وتأديبها .وفقاً لذلك، فالأنوثة موقع للنضال السياسيّ المستمر حول المعنى))[4].

2.أثر النسق الأنثوي في لغة النص الشعريّ.

عندما يُدرَس نصٌّ ما، فإنّ دلالات لغته تتشكّل في داخل بنيته الداخليّة وسياقه الخارجي ؛ أي مرجعيّته الثقافيّة والاجتماعيّة، ويتحدّد جنس لغته (أنثويّ، ذكوريّ) بسهولة، فاللّغة ليست حياديّة بطبعها، وهي أداة من أدوات الصراع بين الذكوري والأنثوي إن صحَّ أن نسميه صراعاً.اللّغة في الأنساق والسياقات النمطيّة لغة ذكوريّة؛((ليست المرأة فيها سوى مادة لغويّة قرّر الرجل أبعادها ومراميها وموحياتها))[5].أمّا اللّغة في الأنساق الثوريّة (اللانمطيّة) فهي لغة

---

[1] يُنظر: السماهيجي ، حسين، وآخرون: عبدالله الغذامي والممارسة النقديّة، ص28–35.

[2] يُنظر:المصدر السابق.ص45.

[3] **باركر** ، كريس: معجم الدراسات الثقافيّة ، تر: جمال بلقاسم–، رؤية للنشر والتوزيع ،القاهرة، ط1: 2018، ص202–203.

[4]باركر ، كريس: معجم الدراسات الثقافيّة ،ص82.

[5] الغذامي، عبد الله: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط1: 2006، ص8.

أنثويّة،منتفضة تعمل على تحطيم القيود،وتعرية الأداءات النسقيّة السائدة ومواجهتها، تواجه النمطيّ الذكوريّ و البطرياركي؛تواجهه بفعل إبداعيّ وبديناميكيّة تأنيث النصّ، تخترق المألوف وتخلخله، وتلج المحظور وتواجهه.

يقدم أدونيس في "**تاريخ يتمزّق في جسد امرأة**" أنموذجاً لهذا الفعل التأنيثيّ، ورواية واصفةً للنسق الذكوريّ بصوت أنثويّ وبلغة أنثويّة، فهو يرتّب سرداً– بياناً للمواجهة بين الرجل والمرأة، بين نسقٍ مقموعٍ ومُضمَرٍ، ونسق قامع ومعلَن ، ينطلق من لغة الصدام والمواجهة إلى وصف آليّات الأنثى في مقاومة النسق القامع:

((استهلال

صوت

هذه سيرةُ امرأةٍ عبدةٍ وابنها.

نُفيَتْ، لا لشيءٍ سوى أنَّها
كسَرتْ قيدها، ويُحكى
أنّها زُوّجت لنبيٍّ،
وأنّ ابنَها
صارَ من بعده نبيّاً .ولكن
لم يَجِيءْ في تعاليمِه
أنها حُرِّرَتْ))[1].

تبدأ آليّات الأنوثة بمواجهة النسق الذكوريّ بنقض مسلّماته، فالمفهوم الذكوريّ للإله مفهوم معادلٌ للموت،و للقسوة، وللعقوبات، وللعلوّ، وليس مفهوماً للحياة:

(("لا يموت سوى الحيِّ"، قالوا.
فلماذا، إذاً ،لا يُقالُ : "الألوهة ليست حياة"))[2].

أحدثت الديانات التوحيديّة (الذكوريّة)انقطاعاً لغويّاً أخرج الأنثى من دائرة الإنتاج اللغويّ، وجعلها عنصراً مُهمّشاً مطروداً من عملية إبداع اللغة وإنتاجها،((لقد صنع البطاركة اللغة واستخدموها لأغراضهم الخاصّة ولازالوا إلى غاية اليوم، لهذا تمّ إقصاء النّساء عن الإنتاج اللغويّ مما جعلهنّ عاجزاتٍ عن إنتاج المعنى والمدلولات الأنثويّة في ضمن الخطاب اللغويّ؛إذ ظلّت اللّغة بوصفها إنتاجاً فنيّاً مُلكيّة خاصّة بهم و دونهن ،وكلّ فعل تجاوزيّ إنّما هو تعدّ على الحقوق واغتصابٌ للشرف والعرض، وانتهاكٌ لحرمات الآباء والأجداد

[1] أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة، دار الساقي– بيروت–ط2، 2008–ص7.
[2]المصدر السابق، ص12.

المقدّسة))[1]؛ لذا فإنّ الأنثى التي تقاوم النسق وتعاديه ستعاقب بعقوبات يسنّها النسق، ولن تنقذها تساؤلاتها المعرفيّة ولا رفضها المُعلَّل، وفعلُ خروجها على النسق سيكون محفوفاً بالرفض والاستهجان:

((تفخرُ الغابةُ المنيعةُ بالذئب– يجتاحُ أسوارها.

فلماذا تُجَنّ السماء، إذا انتفضتْ صخرةٌ

ورمت وردةً تحت شُبّاكها؟))[2].

لا تنقسمُ الأنثى في نصّ "**أدونيس**" إلى أنثى جماليّة، وأنثى سياسيّة، وأنثى ثقافيّة، الأنثى في هذه التجربة كُلٌّ حركيٌّ يندمج فيه الجماليّ بالثقافيّ، فالهيولى التي صُنعت منها هذه الأنثى لا يمكن فصل مكوناتها؛ لذلك فهي تعيش مُحمّلة بدلالات ثلاث:

1- **الدلالة الحرفيّة**:تعطي الأنثى في (**تاريخ يتمزق في جسد امرأة**) دلالة حرفيّة كلاسيكيّة تتمحور حول مظلومية المرأة في عالم الرجال(الأب ،والزوج، والابن).

2- **الدلالة الرمزيّة**: ترمز الأنثى في هذا النصّ للثورة ،والخروج على السلطة المقيّدة لها.

3- **الدلالة النسقيّة**: تمثّل الأنثى في النصّ نسقاً ثقافيّاً بأكمله هو النسق الثقافيّ الأنثويّ الذي يواجه نسقاً ذكورياً –دينياً وسلطوياً، فتستحضر بصوتها لغة نسقها الذي تقهقر، لتواجه نسقاً ثقافيّاً مسيطراً هو نسق الذكور، ولعلّ ما تذيعه هذه الأنثى يظهر الدلالات الثلاث، تقول:

((لا صداقة. لاحبّ .

جسم غريبٌ

بين زوجي وبيني.

وكأنّ ابننا

كوكبٌ آخرٌ. نقيضان يحيا كلانا [دلالة حرفية] ←

بما ليس فيه ، وما ليس منه.

غربتي بين نفسي ونفسي

وسؤاليَ عنّي لاجواب له. [دلالة رمزية]

[.....] ←

سألتنيَ ثيابيَ عنّي، سألتنيَ عَنْهُ: كيف بعثرَ جسمي؟

أهوَ الآن يصغي إلى ربّه، أم يدشن أعضاءه

بدمٍ آخرَ؟.....))[3] [دلالة نسقية] ←

تظهر الدلالة النسقية بعد تدرّج الدلالتين الحرفيّة والرمزيّة؛ إذ يبدو نسق الأنثى مواجهاً لنسق الذكر. في الأسطر الأخيرة يُشبّه هذا النسق الديني بإلهه الفحل . فعلُ الرجل في نسق الذكر، كما تعلنه الأنثى، فعلٌ ينحصر بين الإلهيّ و

[1] عبيد، ليندى، عبد الرحمن: تمثيلات الأب في الرواية النسوية العربية المعاصرة ،فضاءات للنشر والتوزيع– الأردن– ط:1، 2007 ، ص188.

[2] أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة، ص22

[3]أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة ،ص15–16.

الفحوليّ الذكوريّ، هو بين هذين الحدّين وفي سبيلهما يقمع النسق الآخر.لكنّ اللّغة في النسق الكليّ للنصّ لا تزال خاضعةً للذكر – الإله، لا تُنتَج، ولا يمكنها أن تُنتج شيئاً آخر.وإذا كانت اللغة تسعى إلى تسمية الأشياء بالكلمات، فلا يمكن أن يخرج صوت مجموع النسق الكليّ عن سيطرته، وأيّة محاولة للثورة لا ينبغي لها النجاح ، ولن تدركه فعلى لسان الجوقة نسمع:

((لا نُسميه، لا نتجرأ أن نذكر اسمه.
يهرب الرعد خوفاً
من دوي اسمه.
والدروب ترتل أوجاعها
تحت أقدام حُرّاسه،))[1]

هو الذكر الإله المحارب ذو الحراس والهيبة والأقفال المُمنّعة ،هو البعيد لا كآلهة الأنثى القريبة،وهو المتعالي لا كآلهة الأنثى المتواضعة.فالصراع النسقيّ واضحٌ بين نسق كليّ هو نسق (المجموعة – الجوقة– القبيلة – الرجل)،والنسق المضاد المقموع:النسق الأنثويّ؛ وبذلك نكون أمام مقولة صراع الهامش، والمركز*؛إذ يسعى المركز إلى تحقيق ديمومته وانسجامه بجعل النظام أولاً، ويُولّد قوّة جاذبة تعشّق العناصر فيها بطرد المهمّش منها:

((**الرّاوية**

إنَّها امرأةٌ
نصفها رَحِمٌ وجِماعٌ
والبقيّةُ شَرٌّ.

هكذا رَسمُوها.
هكذا وصفوها.

زمنٌ – عنكبوتٌ
يجرُّ خطاهُ على وجه قيثارةٍ.))[2]

---

[1]المصدر السابق،ص20.

* الهامش والمركز ، مفهومان يشيع استخدامهما بكثرة في الدراسات الثقافيّة ما بعد الكولونياليّة (post –colonialism) للدلالة على الثنائيّات الثقافيّة المتضادّة التي تعكس حالة من حالات الصراع الوجوديّ على المستويين: الاجتماعيّ، والسياسيّ .وبناءً عليه يعبّر التهميش في صلب كشفنا عن النسق الأنثويّ عن حالة تبنّي النسق العلاقة المفترضة بمركز الثقافة الذكوريّة .إنّها عمليّة إضفاء صفة الآخريّة التي تخضع لتوجيه السلطة الذكوريّة التي تسعى الأنثى إلى خلخلة أنساقها الدينيّة المتحكّمة، والممارسة لعمليّة الإقصاء الأنثويّ بحقّها. يُنظر: أشكروفت ، بيل **_ غريفيت** ، غاريث – تيفن، هيلين: الردّ بالكتابة – النظريّة والتطبيق في آداب المُستعمرات القديمة ، تر: د. شهرت العالم، بيروت ،ط1: 2006، ص176.

[2]أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة، ص13.

يتحدث الرَّاويةُ بلسان النسق الكليّ فلا يجد طريقة لتهميش الأنثى إلا بتحويلها إلى آلةٍ حيّةٍ :هي رحم، وولادة،وجنس،و جماع.إنّها آلة للاستهلاك فلا يعتدّ بما ترى أو تريد، ولا يخشى من ثورتها،فلا نَاب،ولا مخلب.ويبقى السؤال هل يمكننا في أثناء تحليل اللغة قراءة بنية الجملة في مستويات ثلاثة كما يقترح النقد الثقافي؟ !هل سنجد مستوى أولاً نحوياً وثانياً أدبياً وثالثاً ثقافياً؟!

لنحاول قراءة المشهد الآتي:

((**المرأة**

(مع طفلها ليلاً، والقمر هلال)

قمرٌ، سِرُّهُ العذبُ يجتاحني.

قمرٌ ، يتدفَّقُ ملْء خلاياىَ. لا عورة ولا زَلّةٌ.

قمرٌ نطفةٌ.

قمري خالقي))[1].

<u>في المستوى الثقافيّ</u>: يجب الإجابة عن التساؤل الآتي: هل النسق الأنثوي مُضمر في المقاطع التي دُرِست نحوياً وأدبياً؟! هل نسق الأنثى مرتبط بشيء ممّا ذكر؟!في قراءة الثقافات القديمة،في المرحلة ما قبل إلهيّة ،وما قبل ذكوريّة، يبدو واضحاً ارتباط القمر بالأنثى بنيويّاً وثقافيّاً،فقد((سَاد الاعتقاد بأنوثة القمر وتمثيله للأم الكبرى في الحضارات القديمة ، وبقيت آثاره في الأقوام البدائيّة في عالمنا الحديث فمعظم الثقافات البدائية تنظر إلى القمر بوصفه أنثى وتعتقد بتجسيده لإلهة أنثى))[2].يبدو أنّ الربط في منطلقه جسمانيّ- نفسيّ، لربطه بين حياة الأنثى وطبيعة القمر وإيقاعه المتغيّر، نظراً لارتباط ذلك بالدورة الشهريّة للأنثى التي تقابلها دورة قمريّة تمثّل أطوار القمر في الشهر،حتّى إنّ الكثير((من اللغات البدائيّة تستخدم مصطلح "المرض القمري" للدلالة على الحيض، هذا التقلب في دورة حياة القمر يقابله تقلّب في مزاج المرأة، و تعدّد أطوارها، فهي تستلهم في سلوكها خصائص الطبيعة، وقوانين التنظيمات الاجتماعيّة المتحكّمة))[3].

بهذه الأسطر القليلة يُمكن مقاربة المستوى الثقافيّ في النصّ،وتحرّي فكرة أنّ للنسقِ الثقافيّ الأنثويّ أثراً في لغة النصّ من دون عناء في الاستدلال أو استطراد في الاستشهاد:

أ- قمرٌ نطفةٌ

ب- قمر رحمةٌ، رحمٌ حرةٌ.

إله ــــــــــــ حياة.

ت- قمري خالقي.

إله ــــــــــــ فعل.

ث- قمرٌ بين ثديي، في شفتيّ ،و بين ثيابي، وفي خطواتي

قمر، تحت جلدي.

---

[1]أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة، ص13.

[2] السواح ، فراس: لغز عشتار: الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة ، دار علاء الدين، دمشق، ط8: 2002، ص74.

[3]المرجع السابق، ص76.

إله ـــــــــــ قريبٌ لا يشبه إله الذكور المتعالي.

ج- قمرٌ للأنوثة، للجنس، للنزوات وللصبوات.

(نسق الأنثى)

ح- قمرٌ لا لأرضٍ ولا لسماء،

خ- قمرٌ للحياة[1].

الإله ـــــــــــ حياة

د- (("لا يموت سوى الحيّ"، قالوا.

فلماذا ، إذاً، لا يُقال : "الألوهة ليست حياة"))[2].

الإله (في نسق الذكر) ـــــــــــ موت.

تبدو حركة النسق المُضمر،فيما سبق، حركةً متماسكةً داخل النسق الكليّ،تتذر آلياتها بنقض مسلّمات النسق المعلن(الكليّ)،محاولة تضخيم الفعل الأنثويّ، ليعادل الفعل الذكوريّ، وفي هذا السرد تتواجه ثيمة "**الهامش**" مع ثيمة "**المركز**" ، دون أن يفقد الصراعُ النصَّ شعريّته، بل يُمكن إظهار ذلك من خلال هذا الصدام مع شعريّة الثقافة، وتركيز القراءة على الوظيفة النسقية.

خاتمة: يخلص البحث إلى مجموعة من النتائج التي ظهرت عند التطبيق على النصوص المُتخيّرة:

-يُمكن القول: إنّ النسق الثقافيّ الأنثويّ لدى "أدونيس" يُحرّر الجسد الأنثويّ من قيد السلطة المجتمعيّة التي تفرض الهيمنة عليه، وتختزله حُرمة، لكنّ هذا التحرّر لا يعني الانفلات الذي تحاول فيه الأنساق الثقافيّة الأنثويّة تخطّي الأعراف بهدف كسرها، بل بقصد تعريتها من ذكوريّة الذكورة، وبطرياركيّتها (أبويّتها) العمياء.

- يُدافع النسق الثقافيّ الأنثويّ عن قدرة الجسد الأنثوي على الأداء الجندريّ الذي يُصارع محدوديّة الأنثى، بوصفها الهامش ثقافيّاً أمام الذكر، بوصفه المركز ثقافيّاً وجسديّاً؛ وذلك بخرق التراتبيّة التي ترى في المرأة ضعفاً مُطلقاً، وفي الذكر قوّة مُطلقة.

-تحتفي الدلالة النسقيّة بقدرة اللغة في النصوص الشعريّة على تقديم الأنوثة مفهوماً مابعد حداثيّاً، مُنفلتاً من عبء الثقافة في تديّن الأنوثة، وتحشرها في خندق التابعيّة والمتبوعيّة جسمانيّاً ومعرفيّاً .فاتّضح أنّ امتزاج الأنوثة بالألوهة ليس فعلاً ثقافيّاً طارئاً،بل هو فطرة تتكرها الثقافة التي سيّستها الأعراف.

-تكسر لغة الأنساق الثقافيّة الأنثويّة لدى " أدونيس" خوف اللغة من الغوص في المحظور النسقيّ من مثل: المقدّس؛ وذلك بعدم زجره أو التعدّي عليه، بل بإثارة موقع الأنوثة فيما يعدّ ذكورة، وذكوريّ من منظور يُثير فيه سؤال: ماهيّة موقف الأنوثة من الألوهة؟

[1]أدونيس: تاريخ يتمزق في جسد امرأة، ص10-11.

[2] المصدر السابق ،ص12.

المصادر والمرجع:

[1] أدونيس: *تاريخ يتمزق في جسد امرأة*، دار الساقي– بيروت–ط2، 2008.

[2] أشكروفت ، بيل ـ غريفيت ، *غاريث – تيفن، هيلين: الردّ بالكتابة – النظريّة والتطبيق في آداب المُستعمرات القديمة* ، تر: د. شهرت العالم، بيروت ،ط1: 2006.

[3] **باركر** ، *كريس: معجم الدراسات الثقافيّة* ، تر: جمال بلقاسم–، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة، ط1: 2018.

[4] بلعي، بلعاد: *مدخل في نظريّة الأدب المقارن*،الجزائر، منشورات الاختلاف– ط1: 2007.

[5] جاكبسون ، *رومان: قضايا الشعريّة*،تر: محمد العربي، د. مبارك الحنون ،دار توبقال للنشر – الدار البيضاء – المغرب –د.ط.

[6] الرويلي ، *ميجان–البازغي*، سعد : دليل الناقد الأدبي ،ط:4، 2005.

[7] السماهيجي ، حسين، وآخرون: *عبدالله الغذامي والممارسة النقديّة*، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنشر – بيروت ، البحرين، ط4:د.ت.

[8] السواح ، فراس: لغز عشتار: *الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة* ، دار علاء الدين، دمشق، ط8: 2002.

[9] عبيد، ليندى، عبد الرحمن: *تمثيلات الأب في الرواية النسوية العربية المعاصرة*،فضاءات للنشر والتوزيع– الأردن– ط:1، 2007.

[10] عليمات، د.يوسف: *النسق الثقافي– قراءة في أنساق الشعر العربي القديم*، دار الكتب الحديثة، 2009.

[11] الغذامي، عبد الله: *المرأة واللغة*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط1: 2006.